جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

# تعابير الألوان في اللغة العربيّة
## دراسة دلاليّة إدراكية

***Color expressions in the Arabic language:***
***a cognitive-semantic study***

إعداد
**د. عبد الرحمن بن عوض بن نافل العمري الحربي**
أستاذ مساعد في اللغة والنحو
كلية العلوم والآداب بساجر جامعة شقراء– المملكة العربية السعودية

( العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الثالث-أغسطس)
(الجزء الأول (١٤٤٥هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

# تعابير الألوان في اللغة العربيّة دراسة دلاليّة إدراكية

**عبد الرحمن بن عوض بن نافل العمري الحربي**

قسم اللغة والنحو، كلية العلوم والآداب بساجر جامعة شقراء، المملكة العربية السعودية.

**البريد الإلكتروني:** *abdalrahman1443@hotmail.com*

**الملخص**

اهتمّت هذه الدراسة بدراسة الألوان في اللغة العربيّة من وجهة نظر علم الدّلالة الإدراكي، وجاءت في قسمين: قسم نظري تضمّن شرحاً لمفردات الدراسة النظريّة، مثل: اللسانيات الإدراكيّة، وعلم الدلالة الإدراكي، ونظريّة الطّراز. أمّا القسم التطبيقي، فتضمّن دراسة تطبيقيّة على نصوص من التراث العربي شعره ونثره، والتعابير اللغويّة في العصر الحديث بهدف تحليل دلالات الألوان فيها من وجهة نظر علم الدلالة الإدراكي وتحديدًا نظريّة الطراز لروش؛ للوقوف على دلالاتها النفسيّة، وسبب اختيار الفرد للونٍ بعينه في سياق لغوي ما، والكشف عن دور البيئة والثقافة والخيال في تكوين الدلالات الإدراكية للألوان.

**الكلمات المفتاحية:** اللسانيات الإدراكية، علم الدلالة الإدراكي، نظريّة الطراز.

# Color expressions in the Arabic language: a cognitive-semantic study

*Abdul Rahman bin Awad bin Nafel Al-Omari Al-Harbi*

*Department of Language and Grammar , College of Science and Arts in Sajer, Shaqra University , Kingdom of Saudi Arabia.*

**Email:** *abdalrahman1443@hotmail.com*

## Abstract:

***This study tackled colors in Arabic in a cognitive sematic perspective. It's divided into parts. The first one includes theory that explains the terminology used in introducing theoretical aspect such as cognitive linguistics and style. The practical part includes texts taken from Arabic literature covering poetry, prose and linguistic expressions to analyze the semantics of colors from a cognitive sematic perspective, specifically Eleanor Rosch study. This study aims to explain the psychological aspect related to using colors and the reason behind using a particular in a certain linguistic context, and highlight the role of environment, culture and imagination in forming cognitive semantic structures of colors.***

**Keywords***: Cognitive Linguistics, Cognitive Semantic Science And Style Theory.*

## المقدمة

تشهد الدراسات اللسانيّة الحديثة تطوّراتٍ هائلةً وتحوّلاتٍ كبرى رافقت التقدّم الواضح في العلوم اللغويّة، والعلوم المعرفيّة المختلفة، وظهور النظريّات الحديثة، ولا سيّما في النظريات والعلوم ذات الصلة بالبحث اللغوي، مثل: العلوم الاجتماعيّة، والثقافيّة، والنفسيّة، والعصبيّة، والإنسانيّة، وغيرها من العلوم، بما يثير الكثير من التساؤلات التي تنتظر إجاباتٍ وافيّةً في علاقة اللغة بالفكر البشري، وآليات اشتغال الذّهن البشري، وكيفيّة تعبير الإنسان عن تصوّراته عن العالم، والأشياء من حوله.

وفي إطار بحث العلاقة بين اللغة واشتغال الذّهن وعلى أثر ظهور العلوم الإدراكيّة ظهرت اللسانيات الإدراكيّة (*Cognitive Linguistic*) في محاولة للإجابة عن تلك التساؤلات مستأنسة بالعلوم المعرفيّة، والعصبيّة، والنفسيّة، والذّكاء الاصطناعي وعلم الألسنة (الأنثروبولوجيا) هادفةً إلى شرح العلاقة بين «الثقافة واللغة والإدراك. وهي تعالج اللغة باعتبارها جزءًا لا يتجزّأ من الثقافة والمعرفة، وتعتمد اللسانيات الإدراكيّة على البحث عن دلالة اللغة في الأسس الإدراكيّة والتجريبيّة التي تساهم في تجسيد الفكر واللغة»[١]

وتقع اللسانيات الإدراكيّة ضمن العلوم الإدراكيّة (العرفانيّة)، وهي: جملةٌ من العلوم تدرس العقل البشري دراسة علميّة، وتتشكّل من مجموعة من الاختصاصات المعرفيّة التي تتضافر معًا من أجل دراسة اشتغال الذّهن مع اختلاف وجهات نظر الباحثين فيها، واختلاف مناهجها، وأدواتها البحثيّة، ومن هذه الاختصاصات: علم

(١) التميمي، ٢٠١٣، ص١١.

النفس، واللسانيات، والذكاء الاصطناعي، والروبوتات، وعلم الأعصاب، وغيرها من المباحث الذهنيّة [١].

ويُعرّف بأنه: «علمٌ معاصر يبحث في إشكالات قديمة بتصوّرات ووسائل حديثة، وهو يبحث في كيفيّة امتلاك الذّهن المعرفة، وكيفيّة تطويرها، ويبحث في علاقة المحيط بالاكتساب، وفي كيفيّة احتفاظ الذاكرة بالمعلومة واستعمالها عند الحاجة، إلى غير ذلك من المباحث الذّهنيّة»[٢] ، وتهدف العلوم الإدراكيّة إلى استبطان دور اللغة الإدراكيّ في تلقي المفاهيم والمعاني اللغويّة.

ويعود الفضل في ظهور اللسانيات الإدراكية[٣] إلى: جورج لايكوف ( *George Lakoff)* في كتابه: نساء ونار وأشياء خطيرة، وإلى كتابه الاستعارات التي نحيا بها الذي شاركه في تأليفه: مارك جونسون (*Mark Johnson*)، بالإضافة إلى لانجاكر (*Langacker*) في كتابه أساسيات النحو الإدراكي (*cognitive grammar*) في ثمانينيات القرن الماضي؛ إذ كانوا من أوائل من اهتمّوا بإدماج المناويل الجديدة التي سنّتها العلوم الإدراكيّة ضمن حقل علم الدّلالة.

---

(١) *Silverman, Gordon, and Friedenberg, 2006, p2 .*

(٢) سليم، ٢٠٠١، ص ٨.

(٣) اختلف الباحثون في ترجمة المصطلح الأجنبي (cognitive linguistics) ، وقد وظّفوا هذه الترجمات في دراساتهم ، فبعضهم اختار مصطلح (اللسانيات العرفانية ) وبعضهم (اللسانيات العرفنية ) وغيرهم (اللسانيات المعرفية )، لكنني سأختار مصطلح (اللّسانيات الإدركية ) في الدراسة التي بين أيدينا.

لكنّه نال شهرةً واسعة خلال خمسةٍ وعشرين عامًا منذ أن نشر جورج لايكوف ومارك جونسون كتابهما: الاستعارات التي نحيا بها؛ حيث يُعدّ هذا الكتاب من أوائل الكتب التي أسست لنهج اللسانيات الإدراكية في البحث اللغوي(١)

وتطمح هذه الدراسة إلى الإفادة من نظريّة علم الدّلالة الإدراكي وهي إحدى نظريات اللسانيات الإدراكية، التي تربط بين النظريّة اللغويّة والنظريّة الإدراكية في دراسة المعنى في دراسة الألوان في اللّغة العربيّة دراسة دلاليّة إدراكية لمعرفة دلالات الألوان النفسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة عند الإنسان؛ فللألوان قيمة جماليّة وثقافيّة عند الإنسان تتوضّح فيها، كما أنّها تعالقت مع الكثير من المفاهيم النفسيّة والاجتماعيّة، مثل: ارتباط اللون الأزرق بالهدوء النفسي، أو بملابس الأولاد الذكور، أو بزرقاء اليمامة الشخصيّة التاريخيّة المشهورة، وغيرها من المفاهيم، فالهدوء النفسي وملابس الأولاد وشخصيّة زرقاء اليمامة هي عبارة عن مفاهيم عرفانيّة/ إدراكيّة ارتبط بها اللون الأزرق في ذهن الإنسان، وعبّر عنها باللّغة.

## وتهدف هذه الدراسة إلى:

١. معرفة دلالات الألوان الإدراكية الشائعة في اللغة العربيّة في نصوص من التراث.

٢. تسجيل التعبيرات اللغويّة المختلفة عن الألوان في اللغة العربيّة والكشف عن دلالاتها الإدراكية.

وسيتّبع الباحث المنهج الوصفي في الدراسة؛ لأنه من أكثر المناهج ملاءمةً في وصف الحدث اللغوي، وفي تفسير اشتغال اللغة في الذّهن البشريّ والتعبير عن

---

(١) موقو، ٢٠١٢، *Evan, Vivyan, and Green,2006, p778.*

**المفاهيم العرفانيّة للألوان عن طريق الاستعمال اللغوي أو الاستعمال غير اللغوي. وستتضمن الدراسة الوصفيّة دراسة تطبيقيّة بالإفادة من نظريّة الطراز لروش *(Eleanore Rosch)***

## علم الدلالة الإدراكي

إن إجراء أي دراسة لغويّة لا يتم دون الالتفات إلى المعنى؛ فالمعنى هو مفتاح فهم اللغة، وهو عنصر مهم في دراسة اللغة وتحليلها في مستوياتها كافة: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدّلالي الذي يتعالق مع المستويات السابقة؛ إذ لا يمكن معرفة الفرق بين كل مستوى دون معرفة معناه، بل إنّ المعنى حاضرٌ فيها بقوةٍ وفي كل أجزائها.

وقد تنوّعت الدراسات الدّلاليّة التي اهتمّت بالمعنى، وذلك لتنوّع النظريات والاتجاهات المختلفة التي تتشابك والموضوع، والمتّتبع لسير هذه الدراسات يجد أنّها سارت في اتّجاهين:

١- اتجاه الدراسات الدلاليّة التقليديّة: اهتمّت النظريّة التقليديّة بدراسة المعنى بوصفه عنصرًا موجودًا في العالم الخارجيّ، يرتبط معه بشروط الصّدق؛ فهذا الاتجاه الدلاليّ التقليديّ «يركّز على المظهر العام للمعنى من خلال محاولة تعيين معنى جملة ما أو نص معيّن بشروط صدقه، أي بتلك الشروط الموضوعة على العالم الفعليّ والتي نحتاج إليها لضمان صدقه»[١]

٢. الاتجاه النفسيّ: ويُقابل هذا الطّرح في دراسة المعنى طرحٌ نفسيٌّ يفترضُ أنّ المعنى موجود في الذّهن البشريّ؛ فحاول «أن يعيّن المعنى بتمثيل ذهنيٍّ دال داخلياً يرتبط بالشكل المنطقيّ للجملة. وهذا الشكل المنطقيّ مرتبط بالصّورة التّركيبيّة التي تأتي عليها الجملة، إنّ ما هو أصلٌ للمعنى وسابقٌ في الاعتبار في رأي التقليد النفسيّ هو البنية الذهنيّة لمتكلم اللغة»[٢] .

---

(١) جحفة، ٢٠٠٠، ص٤٢-٤٣.

(٢) السابق، ص٤٣.

فالمتكلِّم يرتبط بالعالم الخارجيّ من خلال بنيته الذّهنيّة، التي توفّر له مستوىً من التنظيم يُدرك من خلاله العالم الخارجيّ، ونجد هذه الإدراكات مرمّزة في اللغة التي تعكس بدورها الفكر البشريّ، وعلى هذا فإنّ اهتمام الاتجاه النفسي بدراسة اللغة يتمحور حول دراسة سيرورة الذهن البشري في الإدراك وفهمه.

وتنطوي المقاربة النفسيّة للدلالة في اللغة على اتّجاهين، يمثّل الاتّجاه الأول وهو: الاتّجاه التوليديّ بريادة تشومسكي (Chomsky) الأصل الذي صدر عنه الاتّجاه الثاني: وهو الاتجاه المعرفيّ في دراسة الدلالة بريادة جاكندوف (Jackendoff)، ولانغاكر (Langacker)، وغيرهما من العرفانيين.

## الاتّجاه التوليديّ:

أحد أهم الاتّجاهات في دراسة اللغة التي ظهرت في خمسينيات القرن العشرين مستفيدةً من الثورة المعرفيّة في إحداث ثورةٍ جديدة في الدراسات اللسانيّة تحوّل الاهتمام من وصف اللغة ودراستها من الخارج وفي ضوء علاقتها بالعالم الخارجيّ إلى دراسة اللغة من داخل الذّهن، وما السُّلوك – وفق هذا الاتجاه – إلّا «مادة أوّليّة يمكن أن تقدّم لنا أدلّةً على آليات الذّهن الداخليّة والطّرق التي تُنفَّذ بها هذه الآليات الأفعال وتؤوّل بها التجربة»[1]

ويفترض الاتّجاه التوليدي أنّ المتكلم يمتلك القدرة على إنتاج عدد غير محدود من الجمل والتراكيب النّحويّة، ويوحي هذا الافتراض أيضًا أنّ مستخدم اللغة يمتلك المعرفة والوعي التام للوصول إلى الأبنية اللغويّة في الذهن البشريّ اللاواعي والذي

(١) تشومسكي، ٢٠٠٥، ص٨٩.

من شأنه أن يستحضر عدداً لا نهائياً من الأبنية الصحيحة شكلياً لكنّها مستقلّة عن المعنى[١] إنّ إنتاج العبارات وفق الاتّجاه التّوليديّ إنتاج آليّ لا يحكمه المعنى.

وحسب هذا الاتّجاه فإن صحة التراكيب النحويّة وسلامتها ليس في صحة دلالتها، بل كامنة في سلامة التركيب؛ لذلك افترض تشومسكي في كتابه الأبنية النحويّة «أن مهمة النحو التوليديّ الوحيدة تتمثّل في التعريف بالأبنية النّحويّة للّغة باعتبارها مجموعات محدودة من الجمل ذات التركيب السليم، الأمر الذي يؤكّد أن الفرضيّة التي انطلق منها تعتبر أنّ النّحو ليس إلا دراسة شكلانيّة لأشكال الجمل وتراكيبها، مستقلّة كل الاستقلال عن المعنى»[٢] وكانت هذه الفرضيّة مأخذاً على الاتّجاه التّوليدي الذي أدّى إلى انشقاق الكثيرين من أنصار هذا الاتّجاه في الستينيات والسبعينيات؛ إذ إنهم عندما انتبهوا إلى أنّ الأسس التي قامت عليها هذه النظريّة لا يمكن أن تنتهي بهم إلّا إلى طريق مسدودة انشقّوا وسعوا إلى إحياء المشاغل النفسيّة والمعرفيّة والاعتبارات الذهنيّة في دراسة المعنى[٣]

ونجم عن انشقاق الإدراكيين عن اللسانيات التوليديّة ظهور الاتّجاه الإدراكي الحديث في دراسة الدّلالة.

## الدلالة الإدراكيّة ونظريّة الطراز

ويُعود الفضل في التأسيس للاتجاه الإدراكي في دراسة الدلالة إلى كل من جانكدوف ولايكوف اللّذين كانا توليديّين، لكنّ إغفال التوليديّة لقيمة المعنى في دراسة اشتغال اللغة في الذهن، وإهمالهم الجانب النفسي في دراسة اللغة أدى إلى

---

(١) *Jackendoff, 2002, pp19-20.*

(٢)غريبة، ٢٠١٠، ص٢٦.

(٣) يُنظر: المرجع السابق.

انشقاقهما؛ فقد أخذ جاكندوف[١] على النظريات التقليديّة في دراسة الدلالة أنّها تضربُ جذورها في المنطق الرياضيّ؛ ممّا أدى إلى قلّة اعتناء بالأسس النفسيّة للّغة، ولم تُبدِ اهتماماً كافياً بالكشف عن العلاقات القائمة بين علم الدّلالة والبنية النّحويّة، وهو ما حرصت نظريّة الدلالة الإدراكيّة على الاشتغال به؛ إذ إنه جمع بين النحو والدلالة لإعطاء المتكلّم القواعد التركيبيّة المناسبة ليعبّر عن معاني الأشياء، كما أنّه من خلال الشكل التركيبيّ للسياقات يتكهّن بمعاني الأقوال، بالإضافة إلى أهميته في فهم كيفيّة اكتساب اللغة.

ويصدرُ اهتمام الاتجاه النفسيّ بدراسة اللغة من أهميتها في اكتشاف الذّهن البشريّ [٢] الذي يفترض أنّ الإنسان يمتلك مستوىً تنظيمياً يرتّب بوساطته العالم الخارجيّ، ويرتبط بصورة سببيّة بعمليّة الإدراك وبحالات الجهاز العصبيّ، ويشكّل مجالاً للمعلومات الموجودة في الذّهن ونجدها مرمّزةً في اللغة؛ فإنّ علم الدلالة الإدراكي يهدف إلى فهم أساسيّات اشتغال الذّهن في تأويل الأشياء والأحداث ومحاولة فهمها وبناء الاستنتاجات، ولفهم العبارات النحويّة التي تعبّر عنها وإنتاجها[٣]

وتحدث عمليّة التأويل باستقبال المعلومات . وهذان المحوران حسب جحفة[٤] يتشكّلان في:

١. العالم المُسقَط (*Projected World*): ويشير إلى العالم المنظَّم المدرَك، وهو المعلومة التي تنقلها اللغة.

---

(١) انظر: جاكندوف، ٢٠١٠

(٢) انظر: جحفة،٢٠٠٠م، ٩٧

(٣) *Rogers, Timothy and McClelland, 2008, p689.*

(٤) جحفة، ٢٠٠٠، ٩٨

**٢. العالم الحقيقيّ:**

**وهو العالم الذي يُشتقّ منه العالم المسقَط عبر الإدراك والتّنظيم.**

**فالعالم الحقيقيّ يمثّل الحقيقة التي ينفتح عليها الذّهن، ثمّ تمرّ بسيرورات الإدراك، التي تنظّم المعلومات في ذهن الفرد. ويميل الإنسان عادةً إلى «عمليّة ترتيب الأشياء المختلفة في مجموعات»[١] تسهيلاً لإدراك معانيها، فيقسّمها في مجموعات وأنواع معيّنة، وكلّ نوعٍ منها يحملُ اسماً معيّناً، وعمليّة ترتيب الأشياء وتصنيفها هي عمليّة عقليّة لا واعية يُطلقُ عليها اسم المَقْوَلة. وتُعدّ من أهم العمليّات العقليّة التي يقوم بها الإنسان، فبناءً على ما ذكرت[٢] فكلّ ما يحيط الإنسان من أشياء مختلفة وأحداث، وكل ما يصدر عنه من أفعال وأفكار وكل ما يمرّ به من تجارب تحكمُه المقوَلة.**

**ومفهوم المقوَلة أحد المناويل الأساسيّة في علم النّفس، حتى ظهرت اللسانيّات الإدراكية وتحديداً كتاب: نساء ونار وأشياء خطيرة" عندئذٍ انتقل المفهوم من حقل علم النفس إلى حقل الدّراسات اللسانيّة ذات المشغل العرفانيّ، والتي أصبح المنوال الطرازي يمثّل – في إطارها – عمادَ الدراسة الدلاليّة للمعنى المعجمي[٣] . وكان أبرز ما مرّ به مفهوم المقولة في اللسانيات الإدراكية أنّه لا يُشترط أن يشترك أفراد المجموعة جميعاً في سمةٍ واحدة أو أكثر، وإنّما أصبحَ يُنظرُ إلى المعاني التي يفيدُها اللفظ الواحد بما هي حلقاتٌ تشكّل سلسلة مسترسلة من الوحدات التي قد لا يكون لأوّلها (المعنى (أ) مثلاً) أيّة علاقة تربطه بآخرها (المعنى (و) مثلاً). وهو ما يُحيلُنا**

---

(١) *Mervis, Carolyn, and Rosch 1981, p89*

(٢) *Mervis, Carolyn, and Rosch , 1981*

(٣) يُنظر: موقو، ٢٠١٢، ص٣١٦

على مفهوم التّشابه الأسري (*family resemblance*) المستمدّة من نظريّة فتغنشتاين[١] التي تعرّض لها لايكوف في كتابه وأقام عليها نظريته للمقولة[٢] .

وتمثل المقولات انعكاساً لتجاربنا الجسديّة والاجتماعيّة وطريقة استخدامنا لآليات الخيال في بنائها من أجل إنتاج المعنى؛ ذلك لأنّ «عمليّة تشكيل المقولات – كما يقرّر لايكوف في كتاب آخر مشترك بينه وبين جونسون– تتم من خلال عمليّة التّشخيص أي إنّ المقولات التي نُشكّلها تمثّل جزءاً من تجربتنا»[٣]

وأخذت روش (*Elranor Rosch*) مفهوم التّشابه الأسري لتبني توجّهاً جديداً في علم الدّلالة الإدراكي عُرف بنظريّة الطّراز، وهي نظريّة تختلف عن المفهوم التقليديّ في علم النّفس تحكم تنظيم الأشياء في مقولات وفق مبدأ التّشابه الأسري الذي لا يُشترط وجود شروط كافية لتنتظم في المقولة. وانتظام الأشياء وفق التشابه الأسري لا يشترط أن تكون كلّ عناصر المقولة على درجة الأهمّيّة نفسها، فإنّ الأشياء في المقولة تتفاضَل وفق مبدأ التشابه الأسري، وتنتظم الأشياء من الأكثر أهميّة إلى الأقل أهمية تنظيماً متدرجاً، وتتحدّد أفضلية الشيء كلّما اقترب من تشابهها من طراز المقولة[٤] .

وقد يتشكّل الطّراز من مجموعة من العناصر المادية مثل الألوان، فكلّ لون منها له خاصيّته التي تميّزه من الآخر، فاللونان الأصفر والأحمر – على سبيل المثال – يُعدّان من الألوان الحارة على الرغم من اختلاف كلٍّ منهما في الدلالة النفسيّة والاجتماعيّة، فالأحمر عادةً يرتبط بحرارة العاطفة، وهو لون لافت مثير للانتباه، أما

---

(١) *Wittgenstein1953*

(٢) نقلاً عن: موقو، ٢٠١٢، ص٣١٦ ، *Lackoff, p12-16*

(٣) موقو، ٢٠١٢، ص٣١٧.

(٤) *See: Rosch, Eleanor, and Mervies, 1975, p573- 574*

اللون الأصفر فهو يرتبط عادة بالإحساس بالفرح، ويميل إلى الضّوء والنار. وفي المقابل فإنّ اللون الأزرق الذي ينتمي إلى الطّراز يُعدّ من الألوان الدافئة فهو يقع على الجهة الأخرى من الطّراز، وترتبط هذه الألوان بالفضاء القاتم وعمق مياه البحر وانتشار الليل[١] .

وعند ترتيب الطراز فالأحمر هو الأكثر بروزاً في الطراز فالأصفر يليه الأزرق. ويمكن أن نمثلها بالشكل التالي:

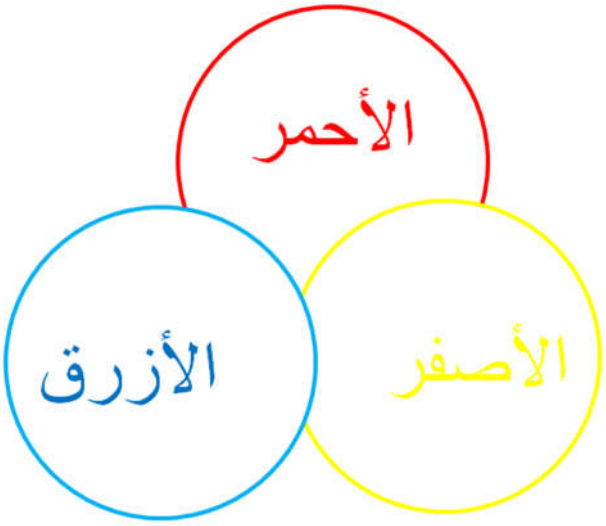


الشكل (١): طراز الألوان

واعتماداً على نظريّة الطراز، فإنّ ترتيب العناصر في هذا الطّراز اعتمد على أكثر الخاصيّات تشابهاً واشتراكاً بين عناصر المقولة، ويمكن أن نعدّه «النموذج الذي

(١) يُنظر: عبيد، ٢٠١٣، ٢٢

تتوفّر فيه أكثر الخاصيّات النموذجيّة اشتراكاً بين عناصر المقولة، والنموذج الهامشي هو الذي يضمّ عدداً أقل من الخاصيّات النموذجيّة التي يشترك فيها مع العنصر الطرازي»[١] .

وبناءً على عناصر المشابهة والاختلاف بين الألوان التي لا تنفصل عن خصائص الواقع الاجتماعي للفرد وكيفيّة تلقّي ذهنه المعلومات من الخارج وتأويلها احتلّت الألوان حضوراً مهماً، ومكانةً مميّزة في حياة العربيّ وجدناها مرمّزة في النّصوص الشعريّة والأدبيّة، على الرّغم ممّا بينهما من تمايُز إلّا أنّه استطاع أن ينظّمها في مقولاتٍ، معتمداً على تجاربه الحسّيّة والخيال، ويأتي دورُ الإدراكي في الكشف عن معاني الألوان عند الفرد كما تنقلها اللغة مبرهنةً على الكيفيّة التي يشتغل فيها الذهن؛ إذ «إنّ المقوَلة والفهم والخيال والتجسُّد مفاتيح أساسيّة لإدراك المعنى كما يؤسّس علم الدّلالة العرفانيّ ولإعادة فهم ذواتنا وفهم العالم من حولنا وفهم اللغة والإبداع»[٢] ، وهي عناصر أساسيّة في اشتغال الذّهن.

وسيعتمد الباحث على نظريّة الطّراز في الكشف عن دلالات الألوان في اللغة العربيّة.

---

(١) , نقلاً عن: البوعمراني، ٢٠٠٩، ص٦٧

*Kleiber, la Semantique du Prototype, p53*

(٢) البوعمراني، ٢٠٠٩، ص٩

# دلالات الألوان في اللغة العربيّة

يحتلّ اللون في حياتنا مكانةً مهمّة من النّواحي الماديّة والمعنويّة، وهو يفرضُ نفسه على أحاسيسنا ونظرتنا للحياة، ويكادُ يكون اللغةَ التي نتخاطبُ بها، والمرآةَ التي تعكسُ شخصيّاتنا، اللون يرافقنا في لبسنا، وأفكارنا، ومساكننا، وأماكن عملنا. وقديماً التفت العرب إلى أهميّة اللون وحضوره في حياتنا، وأبدعوا في تحليل دلالاته ووصفه واستعماله.

وعرفه ابن منظور: «اللّون: هيئة كالسّواد والحمرة، ولوّنته فتلوّن، ولونُ كلِّ شيءٍ: ما فصلَ بينه وبين غيره، والجمعُ ألوان، وقد تلوَّن ولوّن ولوّنهُ»[١] ، ويدلّ اللّون على التغيّر من حال إلى حال، قال الزّمخشري: «يُقال: كيف نخلكم؟ فيقولون حينَ لوّن أي: أخذ شيئاً من اللّون وتغيّر عمّا كان، وجئت حين صارت الألوان كالتّلوين وذلك بعد المغرب، أي: تغيّرت عن هيئاتها لسواد الليل، فلم يبقَ الأبيض في مرأى العين أبيض ولا الأحمرُ أحمرَ. ولوّن الشّيبُ فيه ووشّع إذا بدا في شعره وضح الشّيب»[٢] ، وقال الأزهري في التهذيب: «قال (أبو عبيد) في قول حُمَيْد الأرطي:

حتّى إذا أغسَت دُجى الدُّجونِ وشُبِّه الألوانُ بالتّلوينِ

يُقال: كيف تركتم النّخيل؟ فيُقال حين لوّن، وذلك من حينَ أخذ شيئاً من لونه الذي يصير إليه. فشبّه ألوان الظّلام بعد المغرب: يكون أولاً أصفر ثمّ يحمرّ ثم يسودّ بتلوين البُسْرِ يصفرّ ويحمرّ ثمّ يسودّ»[٣].

---

(١) ابن منظور، د.ت، لون

(٢) الزمخشري، ١٩٩٦، لون

(٣) الأزهري، د. ت، ٣٧١/١٥

تضمّنت المعاني المعجميّة السابقة الدلالتين: الماديّة والنفسيّة للون، فاللون يحمل دلالة ماديّة ببيانه هيئة الشيء، هل هو أسود أم أحمر أو غير ذلك؟ أما الدلالة النفسيّة، فنستدلّ عليها من دلالة اللون على التغيّر من حال إلى حال، وصوّر المعجميان: الأزهري والزمخشري حال غروب الشمس وتلوّنها لتدلّ على هذا المعنى النّفسي للألوان، ويرتبط المعنى المادي بالدلالة النفسيّة للون إذ ما يرافق غروب الشّمس إحساس بالهدوء والسكينة واستعداد النفس للراحة والخلود للنوم تنطوي تحت المعنى الماديّ للتغير في ألوان السماء والشمس. والمعنى النفسيّ للون هنا هو المعنى المُدرَك؛ إذ يشير الإدراك الحسّيّ (*Perception*): «إلى قدرة الإنسان على استخدام ميكانزماته الحسيّة بقصد تفسير وفهم البيئة المحيطة به»[١] . فالإنسان يستقبل المعلومات التي تصله من العالم حوله ويبدأ بمعالجتها بوساطة آليات الإدراك الذّهنيّة، ويتشكّل المعنى في المقولات في نهاية الأمر، «وهذا يعني أنّ الإدراك يشتمل على عمليات فيزيولوجيّة معقدة أيضاً؛ فكثيراً ما يُوصَف الإدراك بأنه استجابة نفسيّة لمجموعة مركّبة من التنبيهات الحسيّة مصدرها موضوعات العالم الخارجي، وأنه استجابة تصدر عن شخصيّة خبراتها وذكرياتها وميولها واتجاهاتها النفسيّة الشعوريّة واللاشعوريّة» [٢].

وتُعدّ الألوان واحدة من المثيرات الخارجيّة في العالم، يرتبط تأويلها بعناصر متنوعة اجتماعيّة ونفسيّة وفيزيولوجيّة ترمّز باللغة، وتشكّل جانباً من السلوك البشري و«أثبتت الدراسات الحديثة أنّ للألوان تأثيراً على خلايا الإنسان؛ إذ لكلّ لونٍ موجة معيّنة، وكلّ موجة لها تأثيرٌ على خلايا الإنسان وجهازه العصبي وحالته النّفسيّة، كما أنّ اختيار الألوان، الانجذاب إليها أو النفور منها، يعود إلى أسباب متنوعة

(١) صالح، ٢٠٠٦، ص١٠

(٢) المرجع السابق، ص١٥

فيزيولوجيّة نفسيّة، اجتماعيّة، رمزيّة، ذوقيّة، ودينيّة، كما لا ينبغي إغفال دور البيئة الاجتماعيّة في هذه العمليّة»[١] .

## بين الأبيض والأسود

لا يكاد يُذكر اللون الأبيض حتى يُذكر معه ضدّه: اللون الأسود. جاء في لسان العرب: «البياض: ضدّ السّواد .. والبِّيضان من الناس: خلاف السُّودان»[٢] . وقال في تعريف السّواد: «السواد: نقيض البياض»[٣] . وتنتمي العلاقة بين اللونين الأبيض والأسود في عُرف علم الدّلالة الإدراكي إلى مقولة: التّضاد.

وإدراك الإنسان العربي التناقُض بين الأبيض والأسود جعله يستعمل اللون الأبيض في سياقات معيّنة مكوناً معانيَ إدراكيّة تناقضُ معاني اللون الأسود في سياقات مقابلة. فاستخدم اللون الأبيض ليبني بعض الدّلالات الخاصة مثل: الكرم، والتفاؤل والاستبشار، واستعمل اللون الأسود للدلالة على معاني الشدة والتشاؤم والذل. قال عامر بن الظّرب العدواني مادحاً لقومه[٤] :

أُناسٌ إذا ما الدّهرُ أظلمَ وجهُه فأيديهم بيضٌ وأوجُهُهم زهرُ

استخدم الشاعر الكنايّة: (أيديهم بيض) ؛ لتؤدي معنى الكرم، وهو تعبيرٌ لغوي يعني: أن لهم أفضالا كثيرة على الآخرين. ومعنى البيت: أنّ هؤلاء القوم الكرماء موجودون دائماً لمساعدة الآخرين في الشدة، أيديهم بيضاء لا تمن بالعطاء.

---

(١) عبيد، ٢٠١٣، ص١٠

(٢) ابن منظور، د.ت، مادة: بيض

(٣) المرجع السابق، مادة: سود

(٤) الوطواط، د.ت، ص٢٥٥

وكلمة أظلم، في قوله: "أُناسٌ إذا ما الدّهرُ أظلمَ وجهُه" تتضمّن اللون الأسود المرتبط بدلالة الشدة عند العرب، ولو لم يستعمل العربي اللون الأسود صراحةً، فإنّ التّجربة الحسيّة لدى الإنسان أطلقت اللون الأسود على الظّلام لا ليحيل فقط إلى غياب الشّمس وتغيّر الوقت، ولكنْ كان لحضور الظّلام مؤشر على الواقع النّفسيّ المرتبط معه أيضاً، أي إنّ تصوّر اللون الأبيض في قوله: "أيديهم بيضٌ" جاءَ تصوّراً استعاريًّا ليمدّنا بفهم جزئيٍّ للزمن الذي برز فيه وهو: وقت الشدّة. وفي طراز العلاقة الضدّيّة بين الأبيض والأسود تظهر الأفضليّة للون الأبيض؛ لتبين هذه الثنائية اللونية مايستكن من مشاعر وأحاسيس وانفعالات وتحدد اتجاهاتها.

وشبيه بهذا قول الشاعر:[1]

يا علَم العالم في الجودِ  مثل جوداً غير موجودِ

بيضت من وجه النّدى بالنّدى  ما اسودَّ في أيّامهِ السُّودِ

اتخذ الشاعر اللون وسيلة إلى ممدوحه، الذي كان علما بالجود والسخاء والخير، فإذا ما أسود وجه الفضائل يبيض الممدوح في فعله هذا الوجه، فالبياض هنا استدعى دلالات الكرم ومؤازرته، وبدلالة الأسود على السلب. ويمكننا أن نفسّر العلاقة الذّهنيّة بين الأبيض والأسود بعلاقة الامّحاء، فإذا ظهر اللون الأبيض امّحى اللون الأسود.

(١) الثعالبي، ٢٠١١، ٣/ ٣٢٧

ومن الأمثلة الأخرى على ارتباط اللون الأسود بالشدة: ما ذكره عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة: «لمّا كانت الأوقات التي تحدثُ فيها المكاره تُوصَف بالسّواد، فيُقال: اسودَّ النهار في عيني، وأظلمت الدُّنيا عليّ، جُعل يوم النّوى كأنه أعرفُ وأشهرُ بالسّواد من الظلام فشُبِّه به، ثمّ عُطف عليه فؤادُ من لم يعشق تظرُّفاً وإتماماً للصّنعة»(١) .

فالنّهار أسودُ في عين العاشق البعيد عن معشوقته، استخدم المتكلم هنا الاستعارة لتدلّنا على المعنى الكامن في العبارة وهو: الشعور بالضيق والشدّة بسبب بعد الحبيب، لذلك فإنّه يقول: "جُعل يوم النّوى كأنه أعرفُ وأشهرُ بالسّواد من الظلام فشُبِّه به" لوقعه النّفسيّ المؤلم الذي يعانيه.

وتشيع على ألسنتنا عند استخدام اللون الأسود مقولات، مثل: اسودّ وجهه، اسودّ لونه، اسودّ نهاره، سيرة سوداء، لبس الثياب السوداء ؛ للدّلالة على معاني الضيق والشدة والحزن والتشاؤم، والشعور بالغضب والهمّ، مثلما جاء في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وإذا بُشِّرَ أحدُهم بالأنثى ظلَّ وجهُه مسوداً فهو كظيم﴾ (سورة النحل: آيّة: ٥٨)، ظلّ وجهه مسودًّا أي: «كئيباً من الهمّ، وهو كظيم: ساكت من شدة الحزن»(٢).

والإحساس بالخزي والعار مثلما قال الإبشيهي: «من اصفرّ وجهه من النّصيحة، اسودّ لونه من الفضيحة»(٣) . فقد استعمل المتكلم هنا اللون الأسود ليعبّر عن هذا الإحساس بالخزي والعار الذي يرافق وقوع الإنسان بالفضيحة، والفضيحة هي حدثٌ

---

(١) الجرجاني، د.ت، ص٢٢٧– ٢٢٨

(٢) ابن كثير، ٢٠٠٢، ٤/ ٥٧٩

(٣) الإبشيهي، ١٩٩٢، ١/ ١٢١

يأتي محصّلةً لقيام الفرد بعمل معيب فافتضاح أمره بين الناس، ويرافقها الشعور بالخزي والعار الذي سيرافقه وقتاً طويلاً، وجاء اللون الأسود انعكاساً للمعنى النّفسي السيّء الذي تجلبُه الفضيحة للإنسان على المدى الطّويل.

واستعمل العربيّ الأسود اللون الأبيض من أجل التعويض النفسي للشعور بالنّقص لسواد بشرته_ غالباً_ أي: إنه استفاد من علاقة التناقض بين اللونين في محاولة للتعويض النّفسي عن هذا النّقص؛ إذ عندما أدرك العربي أنّ الأبيض يرتبط بمفهوم الأفضليّة وعلو الشأن وارتبط اللون الأسود عند العرب «بالقبح واللّؤم ولا سيّما في لون بشرة الإنسان»[1] ، فنجده يستعمل اللون الأبيض في سياق يرفع فيه من شأنه معوّضاً عن الإحساس بالنّقص عن الآخرين، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما أنشده الأصمعي[2]: .

فإن يكُ من لوني السّوادُ فإنني ... لكالمسك لا يُروى من المسك ذائقه

وما ضرَّ أثوابي سوادي وتحتها ... لباسٌ من العلياء بيضٌ بنائقه

إذا المرءُ لم يبذل من الودّ مثلما ... بذلتُ له فاعلم بأنّي مُفارِقُه

في قول نُصيب: (فإن يكُ من لوني السّوادُ) دلّ لون السواد على انحطاط مقام نُصيب أمام محبوبته؛ وفي المقابل فإن البياض يدلُّ على كرم الرجل وعلوّ شأنه كما هو قارٌ في ذهن العربيّ؛ لذلك نجده قد استعان بالصورة التخييليّة حيث شبّه العلياء

(١) خليل، ٢٠٠٦، ص٤٤٤

(٢) الأصفهاني، ٢٠٠٢، ١/ ٢٣١

بالقماش الأبيض الذي يكسو جلدَه. فما ضرّه أن يكون أسودَ البشرة وهو فارسٌ شريف كبير النفس.

واستعمل العربيُّ اللون الأبيض في بناء بعض الصفات الإيجابيّة مثل: الكرم وعزّة النفس؛ لذلك غالباً ما تجد العربي يجعل اللون الأبيض صفة للوجه، مثلما نجد في قول حسّان في اللاميّة [١] في مدحه للغساسنة:

بيضُ الوُجوهِ كريمةٌ أحسابُهم شمّ الأنوف من الطّراز الأوّل

بيضُ الوجوه: أي: أعزّاء، أشرافٌ وأسيادٌ في قومهم، وهي لا تعني الوسامة، بل تعني أفعالهم المشرفة ، ووصف الوجه بالبياض يعني: أنهم أهل مكارم تضيء منها الوجوه وتشرّف أهلها؛ لأنّ على قسمات الوجه تبدو مظاهر العزة والأنَفة، ويؤدي الوجه دوراً مهماً في الكشف عن طبيعة الشّخص، فهو المرآة التي تعكس لنا دواخله، ويُخبرنا بما يشعر به وبما يدور في خلده من أفكار، وتكمنُ أهمّيته في فضح عواطف الشّخص التي تؤدي دوراً أساسياً في الإدراك البشري[٢] ؛ لذلك فإنّك تقول لصاحب العزة والأنفة والكبرياء أبيض الوجه.

ومن المعاني الإيجابيّة الأخرى التي كوّن معناها اللون الأبيض: الجمال، وليبرز المتكلم هذا المعنى، فلا بدّ أن يستعمل اللون الأبيض في سياقٍ يبرزه؛ فاللون الأبيض منفصلاً عن السياق لن يعطيك المعنى المقصود، فقد جاء في البيان

(١) الصفدي، ١٩١١، ص١٣٨

(٢) *Martinez, and Du Shichuan, 2012, p1589*

والتبيين: «قيل للأوسيّة: أي منظرٍ أحسن؟ فقالت: قُصورٌ بيض في حدائق خُضر؛ فأنشد عند ذلك عمر بن الخطاب بيت عَديّ بن زيد العبادي من الخفيف[١] :

كدُمى العاجِ في المحاريب أو كال  بيضِ في الرّوضُ زهرُه مستنير

تدرك الأوسيّة أنّ القصر الأبيض لن يبدو جميلاً دون أن تكتمل عناصر الجمال معه، فهي صورة إدراكية منتزعة من واقع طبيعي اعتمدت الألوان وما تخلقه من توافق شكلي يجمع الخضرة والبياض، فقولها: "قصورٌ بيض في حدائق خضراء" يدلّ على أن الذّهن البشري في تعامله مع الأشياء في العالم لا يعاملها بوصفها جزئيات منفصلة عن سياقها.

ولما كان الأبيضُ يحمل معنى الوضوح والنّقاء، والسواد يحمل معاني الباطل والكفر، ظهر اللونان في تعابير لغويّة مختلفة لتؤدي هذه الدّلالات المتناقضة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «أتيتكم بالحنيفيّة البيضاء ليلُها كنهارها» ، وقيل هذه حجة بيضاء، وقيل للشبهة وكل ما ليس بحق: "إنه مظلم"، وقيل: "سوادُ الكفر"، و"ظُلمة الجهل"»[٢] .

يُقصد بالحنيفيّة البيضاء: سنن الإسلام، واستُخدمت في سياق صورةٍ تخييليّة شُبّهت بها السّنن بما له بياضٌ وإشراقٌ مثل إشراقة النّهار، وذلك لما تجلبه من الخير للمسلم[٣] ، وحجةٌ واضحة قويّة فهي حجة بيضاء، وعكسُها كل ما ليس بحق فهو: مظلم، والظّلام يوحي بالسّواد، ولأنّ الكفر يجلب السوء لصاحبه فهو: أسود. وقال

(١) الجاحظ، د.ط، ١/ ٥١

(٢) الجرجاني، د.ت، ص٢٢٧

(٣) البابرتي، ١٩٨٣، ص٤٧٥

تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (آل عمران/ الآية: ١٠٦). المؤمنون وجوههم بيضاء من الفرح والاستبشار بما سيحظون به من نعيم، أمّا الكافرون فوجوههم سوداء لما سيذوقونه من العذاب. فاللونان الأبيض والأسود هما الظلّان النفسيّان اللذان يعتريان وجه المؤمن ووجه الكافر؛ إذ البياض من النور والسواد من الظلمة ويوافق التصوير في الآيّة الكريمة الدلالات النفسيّة للونين الأبيض والأسود في الذّهن، وكلّها مستمدّة من الواقع الذي نعيش فيه.

ونحن نقول لطيّب القلب: قلبه أبيض، أي: لا تشوبه شائبة من حقد أو سوء. والقرش الأبيض في اليوم الأسود؛ لأن المبلغ الذي يوفره الشخص يستفيد منه وقت الحاجة، فالأبيض يقترن بالخير، وأسلحةٌ بيضاء: بسيطة أخف أذىً من الأسلحة الثقيلة مثل المدافع و الصواريخ .. ونقول كذبة بيضاء كذلك إذا لم تسبب أذىً لأحد وغيرها من التعبيرات اللغويّة للألوان. وتعكسُ هذه التعبيرات التأثيرات النفسيّة المباشرة للألوان التي تنعكسُ على الإدراك وتظهر في السّلوك؛ إذ تؤثّر الألوان على النّفس فتُحدث أحاسيس ينتج عنها اهتزازاتٌ بعضُها يحملُ سمات الراحة والاطمئنان والآخر يحمل صفات الإرهاق والاضطراب لذا نرى أنّ تأثير الألوان قد ينتج عنه حالة من الفرح، والمرح، أو الحزن، والكآبة[١] .

وإذا رأيت الناس في لباسهم قد اطّرد العرف بينهم أن يجعلوا الأسود_ غالباً_ على أزيائهم شتاء وأن يتخذوا الأبيض في ما يرتدونه صيفاً، فإن لهذا العرف ما يفسره في مقومات "الطبيعة" ؛ إذ من المعلوم فيزيائياً أن الأبيض هو اجتماع كل

(١) عبد الهادي، ٢٠٠٦

الألوان، وأن الأسود هو غيابها الكلي،... وهذا سرّ ملاءمة الأسود للبرودة والأبيض للحرارة[١].

وتعتمد التعابير اللغويّة التي ذكرتُها على التّشبيه والتصوير الاستعاري، فعلى سبيل المثال في القول: سمعة بيضاء، أو كذبة بيضاء نحن لا نعني أنّها ملوّنة باللون الأبيض، لكنّ استخدام التّشبيه جاء متناسقًا مع المعرفة الذّهنيّة القائمة على نشاط أساسيّ من المماثلة أو التّشبيه؛ لذلك فإنّها تجري بالضرورة عبر إضفاء الصّبغة الاستعاريّة (*Metaphorisation*) والصبغة الخطاطيّة (*Schematisation*)[٢] .

ودلالة الأسود على الحزن فيما يتخذه الناس من ثياب في المآتم أو ما تأخذ به الأرملة نفسها حتى يحول الحول، واتخاذ الأسود أمارة على الحزن ليس إلا عرفاً من الأعراف، ولكنه عرف يعقلن لارتباط السواد بالظلمة، واقتران الظلمة بالخوف والفزع وكل ما يثير رهبة النفوس[٣] .

وفي هذه التعابير اللغويّة والأمثلة السابقة تتحدّد قيمة اللونين الأبيض والأسود ودوريهما في بناء المعنى الذّهني عند العربيّ، كما يتّضح دور البيئة الاجتماعيّة في اختياره الألوان واستخدامها، فقد اكتسبت التعابير اللغويّة والأمثلة التي ذكرتها شهرةً وحضوراً في حياته حتى جرت مجرى الأمثال، وتجدها حاضرة في معظم النصوص النثريّة والشعريّة وفي الحياة العامة، حتى إذا وصلنا إلى العصر الحديث فإنّ بعض التعابير اللّغويّة للألوان التي ظهرت حديثاً لم تبتعد دلالات الألوان فيها عن دلالاتها

(١) المسدي، ٢٠١٠، ص١٣١

(٢) الحباشة، ٢٠١١، ص ٤١ بتصرف

(٣) المسدي ٢٠١٠، ص ١٣١

في التراث، وهذا يدلّ على قيمة الحياة الاجتماعيّة ودور كل من عنصر الخيال والثقافة في بناء المعنى الإدراكي الذي تعبر عنه اللغة.

## بين الحار والبارد

ميّز علماء النّفس بين صنفين من الألوان:

الألوان الحارة أو الدافئة وتتضمن: اللون الأحمر والأصفر والبرتقالي. وتميل إلى الضوء وألوان النار مصدر الحرارة. وحسب علم النفس: فهذه الألوان زاهيّة وصارخة وتعبر عن الفرح والسعادة.

أمّا الألوان الباردة مثل: الأزرق والأخضر وما قاربهما فإنها تميل إلى القتامة وهي داكنة إجمالاً، وكما ذكرتُ سابقاً فإنها ترتبط بأوقات غياب الضوء وعمق البحر وبالفضاء القاتم [١].

ولكلّ لونٍ منها خصائصه التي تميّزه من غيره، ولكلٍّ منها استعمالاته المنفصلة، ودلالاته عند الفرد، فالألوان الحارة مثل: الأصفر، والبرتقالي_ غالباً_ هي ألوان الملابس الصيفيّة؛ لاقترابها من لون الشّمس، وكذلك الألوان الباردة والفاتحة تساعد على الاسترخاء وتبعث الراحة في النفس أكثر من الألوان الحارة[٢] .

والحديث عن خصائص الألوان النفسيّة والجسديّة وأسس تفضيل لون على آخر سيطول؛ لذلك فحفاظاً على الهدف من البحث سأرجئ الحديث فيها من خلال التحليل.

---

(١) انظر: عبيد، ٢٠١٣، ص ٢١-٢٣

(٢) محسن، ٢٠١٢، ص ١١

والسؤال الآن: هل عرف العرب هذا التمييز للألوان؟ وهل استخدموها بناءً على تقسيمها إلى باردة ودافئة؟ إنّ المتتبع لتاريخ معرفة العرب للألوان سيلحظ أنّهم عرفوا الألوان جيداً، حيث وجدنا في النّصوص الألوان: الأبيض والأحمر والأسود والأخضر والأصفر، إلا أنّ مدلولاتها – وفقاً لما ذكر[١] تداخلت كثيراً، فالخضرة عند العرب السّواد، والحمرة عند العرب البياض.

وبقي اختلاطُ لونٍ بآخر قائماً حتى مراحل لاحقة، وبالنظر إلى ما ذكره [٢] يُلاحظ أنّ العرب عرفوا الألوان واستخدموها لكنّهم لم يميّزوا فيها بين الألوان الأساسيّة والألوان المتفرعة عنها حيث عدّوها كلها أصليّة، وكذلك اختلفوا في الألوان الأساسيّة فبعد أن كانت أربعة، وهي الأسود والأبيض والأحمر والأصفر جعلها ابن هذيل في القرن السادس الهجري: الأبيض والأسود فقط، وتفرّع عنها: الأحمر والأصفر والرمادي والأخضر. وتسمية الألوان في العصر الحديث، وهي: الأحمر، والبرتقاليّ والأصفر والأخضر والأزرق والنيليّ والبنفسجيّ توصّل إليها العلماء من خلال مرور الضوء في منشور زجاجيّ، ويقع بين كل لون ولون موجة ضوئيّة، مثل: الموجة الضوئيّة بين الأزرق والأخضر تُسمّى: الأخضر المزرقّ، أو الأزرق المخضرّ يختلف تحديد تسميتها من شخص لآخر لاعتبارات نفسيّة وعضويّة وتباين في القدرات. لكنّ اختلاف العرب وعدم استقرارهم على تمييز الألوان الأساسيّة لا يمنع أن يكون للون منها مدلوله الإدراكيّ الخاص عند العربي، وهو ما ستُظهره استعمالاتها في النصوص الشعريّة والنثريّة.

---

(١) النمري، ١٩٧٦، ص ١

(٢) الماضي، ٢٠٠٠، ص٢٧

## الألوان الحارة:

**– الأحمر:**

اللون الأحمر عند العربيّ لون الشدّة والقوّة، ويندرج تحت هذا الحقل الدّلاليّ: الحرب، والدم، والهلاك، قال الجوهري: «أهلك الرجال الأحمران: اللّحم والخمر»[١] ، وليس الهلاك بالضرورة الموت، لكنّه كناية عن الضرر الكبير في الصحّة والمال، فالخمر يُذهب العقل وهو مضيعة للمال، أمّا اللّحم فهو مضيعة للصحة. وأراد العرب بأهل اللحم والخمر: الأعاجم، حيث أطلق العرب على الأعاجم اسم: بنو الأحمر.

وفي الأساس[٢] :

«نحن من أهل الأسوَدين لا من أهل الأحمرين، أي من أهل التمر والماء، لا من أهل اللحم والخمر وأنشد أبو عبيدة للأعشى:

إنّ الأحامِرةَ الثلاثةَ أهلكتْ وكنتُ بها قديماً مولَعاً

اللحمُ والرّاحُ العتيق وأطَّلي بالزّعفرانِ فلن أزال مردَّعا

ويحمل اللون الأحمر دلالة إدراكيّة أخرى نستمدّها من واقع الحياة الاجتماعيّة والخصائص العامة للعربي، فالعربي كان فارساً يجوب الصحراء، وأكل التمر والماء يُلمحُ إلى الواقع الاجتماعيّ وطبيعة البيئة التي كان يعيشُها، والطعام الذي كان يأكله.

---

(١) ابن منظور، د.ت، مادة: حمر

(٢) الزمخشري، ١٩٩٦، مادة: حمر

وإذا انتقلنا إلى الطرف الآخر من العمق الدلاليّ للون الأحمر: وجدنا أنّ الأحمر صفة للموت، وللسَّنة المُجدبة، وحرارة الشمس، قال الزمخشري: «وموتٌ أحمر، واحمرَّ البأس: اشتدّ، وسَنةٌ حمراءُ، ومنه خرجوا في حمّارةِ القيظِ: أي في شدَّته»[١] .

فالموت أحمر كناية عن شدّة وقعه على الأنفس، والسّنة المجدبة حمراء لما تجلبه من الهلاك، ومنها وصف العرب الرياح شديدة البرودة بأنها حمراء[٢] ، قال الأعشى [٣]:

إذا احمرّ آفاقُ السّماءِ وأعصفَت  رياحُ الشّتاء واستهلّت شُهورُها

والزعامة، والقوة والسيادة هذه المعاني العقليّة المجردة ارتبطت باللون الأحمر الدال على القوة والشدة، قال عبيد بن الأبرص يمدح قومه بني أسد:

اذهبْ إليكَ فإنّي من بني أسَدٍ  أهلِ القِبابِ وأهلِ الجُرْدِ والنّادي

القِباب: جمع القَبّ، وهو سيّد القوم، وقيل الملك، والخليفة (ابن منظور، د.ت، مادة: قبب). وارتباط اللون الأحمر بالقوة والشدّة فعائدٌ إلى تأثيره القوي في الفرد، فقد أثبتت الدراسات أنّ اللون الأحمر من الألوان المثيرة وقد تدفع إلى التوتّر، ومن تأثيراته الإيجابيّة التي تنعكس على سلوك الفرد وتعطي تفسيراً واضحاً لاستخدام اللون الأحمر بهذه الدلالات في النصوص السابقة: الشجاعة البدنيّة والقوة والطاقة والدفء

(١) الزمخشري، المرجع السابق
(٢) ابن منظور، د.ت، مادة (شهب)
(٣) الأعشى، د.ت، ص٣٧١

والمكافحة والإثارة، ومن تأثيراته العضويّة أنه يزيد من نبضات القلب، ويسبب الانفعال الثوريّ، وهو من أكثر الألوان إثارة للأعصاب[١] .

ولا نبتعد كثيراً في العصر الحديث في استعمال اللون الأحمر عن دلالاته علة الشدة والقوة والإثارة، فنقول: ليلة حمراء: ماجنة، والضوء الأحمر: علامة الخطر، الحريّة الحمراء: التي تنتزع بعد معارك داميّة. أظهر له العين الحمراء: تهدده وتوعّده. الشمع الأحمر: علامة الإغلاق عن طريق جهة رسميّة[٢]

**-1الأصفر:**

وهو من الألوان المعروفة والأساسيّة التي استخدمها العرب، وأطلقوا اسمه على معدن الذّهب، وعلى الأعاجم بسبب لون بشرتهم المائل إلى الصّفار.

والتعبير عن المعاني السّلبيّة مثل: الخوف، والجبن، والمرض، والهشاشة العاطفيّة يستخدم فيها العربي اللون الأصفر، ويحرصُ العربي على تصوير التغيّر وشحوب الجسم، قال المتنبي:

وقد صارت الأجفان قرحى من البكا وصار بهاراً في الخدود الشقائقِ

فالبهارا: جمع بهرة وهي الورد الأصفر، والمعنى أنّ الأجفان قد قرحت وصارت حُمرة الخدود صفرة لأجل البين، كنايّة عن المرض[٣] .

(١) محسن، ٢٠١٢، ص١٣

(٢) عمر، ١٩٩٧، ص ٢١٢.

(٣) الواحدي، ١٩٩٥، ص٣٦/١

وفي قول الشاعر يصوّر اصفرار الخمر بحال الفتاة البكر التي تصفرّ خوفاً عند معانقة زوجها لها، يقول[١] :

جاءتكَ كالنّار في زجاجتها حمراء ما تستقر من نزَقِ

حتى إذا ما المزاجُ خالطها رأيتها مثل صفرة الشفَقِ

كالبِكْرة تصفرّ من معانقة ال زوجِ إذا ضمّها من الفرَقِ

ينقل الشاعر إلينا المعنى عن طريق التّصوير، الذي بدأ بتشبيه احمرار الخمر بالنار، وانتهى بتشبيه اصفرارها بالبِكر. واعتمد في تصويره على ترتيب الذّهن للونين: الأحمر والأصفر حسب المعاني العقليّة المرتبطة بكلٍّ منهما وتعتمد أساساً على الدلالات النفسيّة والفسيولوجيّة للون. فاللون الأحمر أقوى من اللون الأصفر الموجود معه في طراز الألوان الحارة؛ لذلك فالخمر في احمرارها أشبه بالنار لقوّتها وتأثيرها الشّديد في الإنسان، حتى إذا مُزِجت بالماء خفّف من قوّتها وتحوّل لونها إلى الأصفر، وهذا المعنى النفسيّ تجده في البيت الأخير؛ إذ عبّر عن المعنى النفسيّ للخوف بتصوير اصفرار الخمر باصفرار البِكر حين يضمّها زوجها خوفاً وذعراً منه، للدلالة على التغزل بصفرة الخمر.

والشّمسُ قد تصفرّ عند مغيب الشّمسِ ليس لأنّها صفراء؛ بل لأنها ستفارق الأحبة، فخوفاً من الفراق يتغيّر لونها وتصفر، جاء في أساس البلاغة: «ومن لطيف

(١) الثعالبي، ٢٠١١

هذا النّوع[١] قولُ أبي العبّاس الضبّي:

لا تركنن إلى الفرا قِ وإن سكنتَ إلى العِناقِ

فالشّمسُ عند غروبها تصفرُّ من فرَقِ الفِراقِ

ادّعى لتعظيم شأن الفراق أن ما يُرى من صفرة الشّمس حينَ يرقُّ نورُها بدنوّها من الأرض، إنّما هو أنّها لا تفارق الأفق الذي كانت فيه، أو الناس الذي أنِسَت بهم وأنِسوا بها وسرّتهُم رؤيتها»[٢]. وكلمة تصفرّ لم تعنِ هنا تغيّر اللون إلى الأصفر، بل المعنى النفسيّ، فالشمس عند الغروب لا تصفرّ بل يتغيّر لونها إلى البرتقالي، لكنّه ارتبط في ذهن العربي بالضعف والهزال، وجسّد بالصورة الخياليّة المعنى الراسخ في الذّهن ونقله إلينا باللغة.

إن صفة الضعف والهُزال والمرض صفات ملاصقة للون الأصفر، فالماء حين يفسد يصبح لونه أصفرَ، قال الأعشى[٣] :

وأصفرَ كالحنّاءِ طامٍ جمامُهُ إذا ذاقه مستعذب الماءِ يبصُقُ

وفي مرض الإنسان، يقول عبيد بن الأبرص[٤] :

---

(١): يقصد بالنّوع قوله: «وهو أن يُدّعى في الصّفة الثابتة للشيء أنه إنما كان لعلّة يضعها الشاعر ويختلقها، إمّا لأمرٍ يرجع إلى تعظيم الممدوح، أو تعظيم أمرٍ من الأمور»، الجرجاني، ص٢٧٧– ٢٧٨.

(٢) الجرجاني، ص٢٧٨

(٣) الأعشى، د.ت، ص٤٦٤

(٤) لعبيد، ١٩٥٧، ص٦٤

قد أتركُ القرنَ مصفراً أناملُه كأنّ أثوابه مُجَّت بفرصادِ

يصوّر حال الرجل الشّجاع وقد اصفرّت أنامله وهزُلت بفعل الطّعنات، وسال منها الدّم القاتم مثل شراب التوت على ثيابه، كناية عن الضعف الذي أصابه بسبب الطعنات حتى اقترب من الموت. واللون الأصفر لون الموت، فالميت عندما ترقى روحه إلى السّماء ويفقد كلّ أسباب الحياة يتحوّل لونه إلى الأصفر في الواقع، أنشدَ زهير[1] :

فيبدؤه بضربة أو يشكه بنافذةٍ تصفرّ منه الأنامل

وحديثاً استعمل اللون الأصفر في بعض التعبيرات اللغويّة التي تضمنت معاني مختلفة تقترب من المعاني السابقة، مثل: أصفر العينين، إذا كان مريضاً. ونقول في هذا المعنى أيضاً: أصفر كالكركم. والصفحات الصفراء: الكتب القديمة، وأدلة الشركات والصحافة الصفراء: التي تميل إلى سقطات الناس وفضائحهم. الابتسامة الصفراء: الابتسامة الشاحبة الخاليّة من العاطفة.

## الألوان الباردة

وعلى الطرف الآخر من مقولة الألوان تقع الألوان الباردة وهي التي تضم كما ذكرت سابقاً الأزرق والأخضر. وورد اللون الأزرق في التراث العربي بمعنى الأبيض والأخضر، جاء في لسان العرب: «ابن سيده: الزرقة البياض حيثما كان، والزُّرقة

(١) زهير، ١٩٨٠، ص٢٦٦

خُضرة في سواد العين، وقيل هو: أن يتغشّى سوادَ بياضٌ، زرِق زرَقاً فهو أزرقّ وأزرّقيّ»[١] .

وارتبط اللون الأزرق في ذهن العربي بمعان سلبيّة مثل: الإيذاء، والمعاملة السيّئة، والعداوة.

**قالوا في الأمثال:**

«هو أزرق العين: يُضرب مثلاً للعدوّ»[٢] . وهذا المعنى العقلي مستمدٌّ من علاقة العداء بين العرب والعجم، و«العرب يتعوّذون من زرقة العينين ويعدونها مثلبة وينفون عن نسائهم أن تتصف بهذه الصّفة» قال مزرّد بن ضرار يرثي عمر بن الخطاب[٣] :

وما كنتُ أخشى أن تكون وفاته بكفّي سَبَنتى أزرَقِ العينِ مُطرِقِ

استعار الشاعر صورة النمر ذي العيون الزُّرق كنايّة عن العداء، وصورة الأفعى الحيوان الخبيث القاتل ليصف بشاعة فعل أبي لؤلؤة المجوسي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستخدام اللون الأزرق في وصف عيني القاتل يحمل دلالة نفسيّة وهي صفة العداء، فالعرب كنّوا عن العدو بأزرق العيون، ففي ضوء علاقة العرب بالعجم التي تتسمّ بالعدائيّة صار كلّ من عادى العرب أزرقَ العينين.

---

(١) ابن منظور، د.ت، مادة: زرق

(٢) العسكري، ١٩٨٨، ٣٦٩/٢

(٣) الجاحظ، ٢٠١٠، ٣/ ٢٤٥

**الأخضر:**

**اللون الأخضر لون الحياة والخير الكثير، والعطاء .. جاء في الملمّع: «يُقال: أخضر ناضر، وقد نضَر ينضُر نضارةً. قال الراعي[١] :**

**أوِ الأثْلِ أثل المنحنى فوق واسطٍ  من العِرضِ أو دانٍ من الدّومِ ناضرُ»**

**الأخضر يدل على المعنى العقلي للغبطة والعيش الكريم، أنشد الشوّاء[٢] :**

**فتىً فاقَ الورى كرماً وبأساً  عزيزُ الجارِ مخضرُّ الجنابِ**

**مخضرّ الجناب: أي في سَعةٍ من الرزق. وهذه الصورة ضربٌ من الاستعارة التّصوّريّة حيث استعار الاخضرار كنايّة عن الخير والزيادة في الرّزق. وهنا خرج اللون الأخضر من دلالته الحقيقيّة على اللون إلى دلالة أخرى مجازيّة تبيّن المعنى الكامن في الذّهن.**

**والماء كثير العطاء أخضر، وقد عبّر امرؤ القيس عن هذا المعنى بقوله[٣] :**

**فأوردها من آخر الليل مشرباً  بلائقَ خضراً ماؤهنَ قليصُ**

---

**(١) النمري، ١٩٧٦، ص١٠١**

**(٢) ابن خلّكان، ١٩٩٤م، ٧/ ٢٣٥**

**(٣) امرؤ القيس، ٢٠٠٢، ص١٨٤**

## الخاتمة

اهتمّت هذه الدراسة بدراسة الألوان في اللغة العربيّة من وجهة نظر علم الدلالة الإدراكي، وقد انتهت الدراسة إلى **جملة من النتائج**، وهي:

١. يحتل اللون في ذهن العربي قيمة عليا، ومكانة أثيرة عبّر عنها بالنصوص الشعريّة والنثريّة والتعابير اللغويّة المختلفة، كشفت عن البنية الذهنيّة عنده وطريقته في تأويل الأشياء.

٢. اعتمد العربي في تعبيره عن معاني الألوان الكامنة في ذهنه على الخيال، فبرزت الاستعارة التصوريّة والكناية والتشبيه أهم الفنون البلاغيّة التي عبّر بها عن المعاني العقليّة للألوان.

٣. للون آثار فسيولوجيّة ونفسيّة عميقة تظهر في تفضيل العربي في التعبير عن المعنى لونٍ على لونٍ آخر.

٤. عند النظر في أنواع الألوان: باردة وحارة، وفي المعاني العقليّة للألوان عند العرب يجد أنّ العرب رتّبوا الألوان في أذهانهم وفق معانيها العقليّة ترتيباً وافق الترتيب الحديث.

وتبقى حاجة في الدراسات اللسانيّة العربيّة أن تُيمّم نحو الدرس الإدراكي؛ لما يحتقب في حناياه كشفاً للظواهر الكونية واللغوية، وإضافةً جديدة لفهم اللغة وإدراكها، وتحقيقاً للتشابك المعرفي بين المعارف واللغة.

## قائمة المصادر والمراجع


١. الإبشيهي، ش. (١٩٩٢)، المستطرف في كل فن مستظرف، د.ط، بيروت: دار مكتبة الحياة.

٢. ابن خلكان، ش. (١٩٩٤)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د.ط، بيروت: دار صادر.

٣. ابن كثير، إ. (٢٠٠٢)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٣، الرياض: دار طيبة.

٤. ابن منظور، م. (د.ت)، لسان العرب، د.ط، بيروت: دار صادر.

٥. الأصفهاني، ع. (٢٠٠٢م)، الأغاني، ط١، بيروت: دار صادر.

٦. الأعشى، م. (د.ت)، الديوان، تحقيق: محمد حسن، د.ط، مصر: مكتبة الآداب.

٧. البابرتي، أ. (١٩٨٣)، شرح التلخيص، دراسة وتحقيق: محمد مصطفى رمضان صوفيّة، ط١، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام.

٨. البوعمراني، م. (٢٠٠٩)، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في علم الدلالة العرفاني، ط١، صفاقس: مكتبة علاء الدين.

٩. تشومسكي، ن. (٢٠٠٥)، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، ط١، الدار البيضاء: المركز الأعلى للثقافة.

١٠. التميمي، ج. (٢٠١٣)، الزمن في اللغة العربيّة دراسة لسانيّة إدراكيّة، ط١، الرياض: كرسي الدكتور عبد العزيز المانع لدراسات اللغة العربيّة وآدابها.

١١. الثعالبي، ع. (٢٠١١)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط١، القاهرة: دار الطلائع.

١٢. جاكندوف، ر. (٢٠١٠)، علم الدلالة والعرفانيّة، ترجمة: عبد الرزاق بنور، د.ط، تونس: دار سيناترا.

١٣. جحفة، ع. (٢٠٠٠)، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ط١، الدار البيضاء: دار توبقال.

١٤. الجرجاني، ع. (د.ت)، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، جدة: دار المدني.
١٥. الحباشة، ص. (٢٠١١)، مسارات المعرفة والدّلالة، ط١، عمان: كنوز المعرفة.
١٦. خليل، إ. (٢٠٠٦م)، ألفاظ الألوان ودلالاتها، مجلة دراسات، مج٣٣، ع٣، (٤٤١- ٤٥٧).
١٧. الزمخشري، م. (١٩٩٦)، أساس البلاغة، ط١، بيروت: مكتبة لبنان.
١٨. سلمى، ز. (١٩٨٠)، شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط٣، بيروت: دار الآفاق الجديدة.
١٩. سليم، ع. (٢٠٠١)، بنيات المشابهة في اللغة العربيّة، ط١، الدار البيضاء: دار توبقال.
٢٠. صالح، ق (٢٠٠٦)، سيكولوجيّة إدراك اللون والشكل، ط١، دمشق: منشورات دار علاء الدين.
٢١. الصفدي، ص. (١٩١١م)، الهميان في نكت العميان، د.ط، مصر: المطبعة الجماليّة.
٢٢. عبد الهادي، ع. والدرايسة، م. (٢٠١١)، نظريّة اللون: مبادئ في التصميم واللون، عمان: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.
٢٣. عبيد، ك. (٢٠١٣)، الألوان: دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالتها، ط١، بيروت: مجد المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع.
٢٤. العسكري، ح. (١٩٨٨)، جمهرة الأمثال، تعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطام، ط٢، بيروت: دار الجيل.
٢٥. عمر، أ. (١٩٩٧)، اللغة واللون، ط٢، القاهرة: عالم الكتب.
٢٦. غريبة،ع (٢٠١٠)، مدخل إلى النحو العرفاني، ط١، تونس: ميسكسلياني للنشر.
٢٧. محسن، ع. (٢٠١٢ كانون الثاني)، البعد النفسي والفسيولوجي للألوان في المباني العلاجيّة حالة دراسة "مجمع الشفاء الطبي في غزة"، مجلة جامعة

الأقصى، مج ١٦، ع١، (١- ٣٨).
٢٨. المسدي، ع. (٢٠١٠)، مباحث تأسيسية في اللسانيات، ط٢، دار الكتاب الجديد المتحدة: بنغازي، ليبيا.
٢٩. موقو، ع. (٢٠١٢)، نساء ونار وأشياء خطيرة، عز الدين مجدوب (محرر)، إطلالات على التظريات اللسانيّة والدلاليّة في النصف الثاني من القرن العشرين، (من ص٣١٥- ٣٤٦)، قرطاج: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون.
٣٠. النحاس، أ. (٢٠٠٢)، شرح ديوان امرئ القيس، تحقيق: عمر الفجاوي، ط١، عمان: وزارة الثقافة.
٣١. الواحدي، ع. (١٩٩٥)، شرح ديوان المتنبي، د.ط، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.
٣٢. الوطواط، ب. (د.ت)، غرر الخصائص الواضحة، بيروت: دار صعب.
٣٣. الزناد، ا. (٢٠١٠)، نظريات لسانية عرفنية، ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت.
٣٤. الماضي، ع. (٢٠٠٠)، ألفاظ الألوان في العربية: دراسة لغوية، د.ط، مركز النبلاء، دمشق.
٣٥. النمري، ا. (١٩٧٦)، الملمع ،تحقيق: وجيهة أحمد التظال، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق.

## المراجع باللغة الإنجليزيّة:

*Evan, V. and Green. (2006) Cognitive Linguistic An Introduction, Edinburgh: Edinburgh University Press Ltd.*

*Jackendoff, R. (2002), Foundation Of language, New York: Oxford University Press.*

*Rogers, T. and McClelland, (2008) Precis of Semantic Cognition, A Parellel Distributed Processing Approach, Behavioral and Brain Sciences, 31, PP.689 - 749.*

*Silverman, G. and Friedenberg, (2006), Cognitive Science An Introduction to the Study of Mind, California: Sage Publication.*